الفضاء وتمثيل بُنى اللّغة والخطاب

أ. د. محمّد الصّالح البوعمراني

جامعة قفصة، تونس

الاستلام	٢٠١٨/١/٢٣	المراجعة	٢٠١٨/٢/٢٠	النشر	٢٠١٨/٤/٣٠

الملخّص:

يمثّل الفضاء مفهوما مركزيّا في العلوم العرفانيّة لما يلعبه من دور في التّفكير وفي بناء المعنى وتمثّل العالم من حولنا، وليس هذا بمعزل عن المكانة التي حظي بها الجسد في التّصوّر العرفاني ودوره في الإدراك والتّفكير، فلم يعد الفكر بناء خوارزميا مجرّدا مفصولا عن إدراكنا للعالم الخارجي، وبمعزل عن الجسد، بل أضحينا مع الفكر المتجسّد. وتحاول هذه الدّراسة بيان الدّور الذي يلعبه الفضاء في تمثيل بنى اللّغة، بقسميها المغلق والمفتوح، وتمثيل بُنى الخطاب.

المصطلحات المفاتيح:

الفضاء، المعنى، الاستعارة، الخطاطة، العرفان، اللّغة، الخطاب، التّمثيل.

Space and the representation of Language and Discourse Structure

Prof. Mohamed Al-Saleh Al-Buomrany

Gafsa University

Tunisia

Received	23/1/2018	Revised	20/2/2018	Published	30/4/2018

Abstract:

Space represents a central concept cognitive sciences because of its role in thinking, constructing meaning and representing the world. This includes the position that the body had reached in cognitive presentation and its role in understanding and thought. Thinking is no longer abstract and separated from our understanding of the world away from the body. In fact, we live with the embodied thinking. This study attempts to show the role that space plays in both the representation of the structures of language with its two categories; the closed and the open and the representation of the structures of discourses as well.

Keywords:

Space, meaning, metaphor, schemata, cognition, language, discourse, representation.

يسعى هذا البحث إلى بيان دور الفضاء في تمثيل بُنى اللّغة بقسميها المغلق والمفتوح وتمثيل الخطاب بمختلف تجلّياته اللّسانيّة وغير اللّسانيّة. فالعرفانيّون يتحدّثون اليوم عن الهندسة الفضائيّة للّغة والخطاب، وفيها يدرسون البنى الفضائيّة المتحكّمة في بنى اللّغة، أي في المستوى النّحوي والمستوى المعجميّ، والمتحكّمة في بنى الخطاب أيضا. هذه البنى تمتلك تمثيلا ذهنيا انطلاقا مما هو موجود في الواقع المتجسّد، ومن ممارساتنا التّجريبيّة. إنّ بيان كيف يُبنين الفضاء اللّغة، حسب العرفانيين، ليس إلاّ جزءا من الكيفيّة التي يُبنين بها الفضاء المعنى عموما.[١] فمعرفة هذه الخاصّيات الطّبولوجيّة للغة والخطاب تمكننّا من معرفة بعض القيود التي ندرك من خلالها المعنى، هذا المعنى الكامن في العرفان، ويتجلّى من خلال اللّغة كما يتجلّى في غيرها من الأنظمة العلاميّة. وبما أنّ اللّغة لا جود لها بعيدا عن ذات المتكلّم، فإنّ هذه الذّات ذات متجسّدة حالّة في المكان والزّمان متفاعلة معهما ومنفعلة بهما.

١- الجسد والعرفان واللّغة

يؤكّد العرفانيّون أنّ التّمثيل الدّلالي هو أحد المواضيع الأكثر أهميّة في علم النّفس العرفانيّ (Cognitive Psychlogy)، ومن الصّعب تقديم تصوّر ناجع للتمثيل الدّلاليّ دون تقديم نظريّة عامّة في العرفان (Cognition) بصورة عامّة.[٢] لذلك تعدّدت الرّؤى، واختلفت الاتّجاهات التي تقدّم تصوّرات عن التّمثيل الدّلاليّ، وإن تقاربت المنطلقات، وليس هدفنا في هذا البحث استعراض هذه النّظريّات، وتفصيل القول في أسسها النّظريّة وخلفيّاتها المعرفيّة، ولكنّنا نعتقد أنّ مسألة التّمثيل الدّلالي في علاقة بثلاثة أبعاد أساسيّة تحتاج إلى بيان وتوضيح، العرفان واللّغة والإدراك. فكيف تتشكّل العلاقة بين هذه الأبعاد؟ وكيف ينشأ المعنى؟

تجاوزت العرفانيّات النّظرة الكلاسيكيّة للفكر والجسد وما أحدثته الفلسفة الكلاسيكيّة من انفصال صارم بينهما، باعتبار الفكر شيئا مجرّدا يقوم بمعالجة آلية للرموز بعيدا عن تموضعنا الجسديّ في العالم وبمعزل عن حواسّنا وعن نظامنا العصبيّ وبعيدا عن علاقتنا مع الموجودات الحسيّة والثّقافيّة. وأسّست للفكر المتجسّد، الفكر الذي لا ينفصل عن تجربة الجسد في الوجود "فالفكر ينبت في الجسد في بعديه الفردي والجماعيّ من حيث تكوّنه الوراثيّ الجينيّ ومن حيث طبيعة المجال الذي يعيش فيه ومن حيث طبيعة اشتغاله في ذلك المحيط/ فالفكر ينبت وينشأ ويتبلور في ذلك جميعا، على حدّ عبارة لايكوف"[٣].

وبذلك تمثّل مقولة الفكر المتجسّد في علاقة بثلاثة أبعاد أساسيّة، الفكر والجسد والوجود، في وجوهه المختلفة المادّي والاجتماعيّ والثّقافيّ، فنحن نفكّر من خلال أجسادنا، المتموضعة في العالم المادي بهيئة مخصوصة تمكّنها من إدراك الوجود بطريقة مخصوصة، وبالوجود الاجتماعي الذي يمكّنها من تمثّل الوجود المادّي والمجرّد انطلاقا من تمثّلات وإكراهات عقديّة ودينيّة واجتماعيّة وثقافيّة عامّة. وما يعنينا في هذا السّياق، وهو يتعلّق بمفهوم الفكر المتجسّد، مفهومي الاستعارة التّصوّريّة (Conceptual Metaphor) والخطاطة(Schema) ، وهما مفهومان أساسيّان يبيّنان مفهوم الفكر المتجسّد، ويبيّنان كيف تعكس اللّغة إدراكنا الفضائيّ للوجود.

الاستعارة آليّة تصوّريّة تحكم اشتغال نظام تفكيرنا، وتتأسّس على فهم لمجال تصوّريّ مّا عن طريق مجال تصوّريّ آخر، أو فهم لميدان هدف (Target Domain) عن طريق ميدان مصدر (Source Domain)، وتتمّ هذه الآليّة العرفانيّة عن طريق عمليّة إسقاط (Projection)، فيها يتمّ إسقاط خاصّيات الميدان المصدر على الميدان الهدف، وهو إسقاط بطبيعته جزئيّ، يسعى إلى الفهم، فهم المجرّد عن طريق المحسوس، وفهم الوجود عن طريق أجسادنا. ونتبيّن من ذلك مركزيّة الإدراك، وانطلاقا من ذلك الجسد في بناء الاستعارة، فنظامنا التّصوّري مؤسّس على نظامنا الإدراكي والحركي والعصبي، وأكثر مفاهيمنا تجريدا لا يمكنها أن تتشكّل إلاّ من خلال الجسد.[٤] إنّ نظامنا التّصوّري قائم في جانب كبير منه على أسس استعاريّة. فالاستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة ولا تمثّل اللّغة إلاّ وجها من

وجوه حضورها المختلفة، فهي حاضرة في الرسومات والمنحوتات واللاّفتات والإشهار والسينما والأسطورة وغيرها. وبعبارة سلطان كوفيتش (Z.Kovecse) فإنّ الاستعارة التّصوّريّة طريقة في التّفكير والتّعابير الاستعاريّة طريقة في الكلام. [٥] وقد قامت هذه الرّؤية على رفض النّظريّتين الموضوعيّة والذّاتيّة والتّأسيس لنظريّة في الفهم تقوم على التّفاعل بين المؤوّل والعالم. ورفض مقولة الصّدق المطلق والتأسيس لنسبيّة الصّدق، ولنسبيّة الإدراك والفهم.

أمّا المفهوم الثّاني، وهو مفهوم الخطاطة، ويتعلّق أيضا بالاستعارة، فيعدّ من المفاهيم المركزيّة في النّظريّة العرفانيّة، وإن كان وجوده سابقا عليها. فالخطاطة هي بنية ذهنية عالية التّجريد، كامنة في العرفان انطلاقا من إدراكنا لعالمنا الخارجي، وهي بمثابة الإطار المنظّم الذي ينشئه الذّهن لمعارفنا ومدركاتنا المتكرّرة، فهي تقوم بعمليّة تنظيم للوجود من حولنا وتجعلنا ندركه بشكل منتظم ومتناسق. تمتلك الخُطاطة إذن ضربا من العموميّة والتّعالي يجعلانها بنية فقيرة فوق الصُّور المخصوصة. وهي بهذا الفهم ليست صُورا حسّيّة أو صورا ذهنيّة ولكنّها بالأحرى نموذج مجرّد يمكنه أن يتجلّى في صُور ثريّةٍ أو مدركاتٍ أو أحداثٍ. وهي ليست بنى موضوعيّة بقدر ما هي ناتجة عن تفاعلنا النّسبي مع العالم. وتمتلك الخطاطة بنية جشطلتيّة يمكن إسقاطها على وجودنا الحسّي والمجرّد، فنحن نفهم أكثر مفاهيمنا تجريدا ونتمثّلها عن طريق هده الخطاطات، ونتحدّث حينها عن الاستعارة الخطاطيّة.

هذه المقدّمات الأوّليّة تمكّننا من النّظر في علاقة اللّغة بالعرفان المتجسّد أو العرفان الفضائي (Spatial Cognition)، حسب اصطلاحية ليفنسن، فالعرفان الفضائيّ هو جوهر تفكيرنا، فنحن نرى الوجود انطلاقا ممّا توفّره لنا حواسّنا، وحركة أجسادنا داخل الفضاء، إذ العرفان بطبعه فضائيّ، إننا ندرك الوجود من خلال أنظمة عالية التّجريد تعمل انطلاقا من إدراكنا للفضاء الخارجيّ. وقد اهتمّ العديد من العرفانيين بهذا البعد الفضائي للغة وقدّموا تصوّرات مختلفة، بداية من قروبر وفيلمور وليش وكلارك، وجاكندوف وطالمي وليفنسن ولانقايكر وغيرهم. وأكّدوا جميعهم أنّ للفضاء دورا أساسيا في فهمنا للوجود من حولنا بما أنّ نظام تفكيرنا مبنين فضائيا، فنحن نفكّر انطلاقا من وجودنا المتجسّد في الفضاء الخارجي. فالتّفكير الفضائي هو أمر مركزيّ في العرفان البشريّ. وهذا العرفان الفضائي وإن كان مشتركا بين أفراد الجنس البشريّ، فإنّ للثقافة دورا كبيرا في إدراك الفضاء وتمثّله، لذلك نجد أن تمثّل لغات معيّنة للموجودات يختلف عن تمثّل لغات أخرى لها.

٢- اللّغة ومفهوما الصّورة والمجال

يعُتبر مفهوما الصّورة (Figure) والمجال (Ground) ، وهما مفهومان يعودان إلى علم النّفس الجشطلتي، من أهم المفاهيم التي وظّفها العرفانيّون لبيان الطّابع الطّبولوجي للغة، فتنظيم الفضاء ومعرفة خصائص شيء مّا داخل الفضاء هو أكبر من الاقتصار على معرفة الخصائص الذّاتيّة لذلك الشّيء، إذ يحتاج لتحديد موقعه ومساره واتّجاهه إلى شيء آخر، انطلاقا منه يُحدّد الشّيء الأوّل، وهذا يمكن أن يتّضح هذا من خلال الجمل التّالية:

أ- هذه الدرّاجة تقف قريبا من المنزل.

ب- هذه الدرّاجة تقف في المنزل.

ت- هذه الدرّاجة تقف عرض الطّريق.

ث- هذه الدرّاجة تجري على طول الرّصيف.

إنّ موقع الدرّاجة يتحدّد في (أ) بحسب قربه (من حيث المسافة) من موقع المنزل.

ويتحدّد موقع الدّرّاجة في (ب) عن طريق حرف الجرّ "في" حسب موقع المنزل وهندسته فهو حاو، وهي في جزئه الدّاخليّ.

ويتحدّد موقع الدّرّاجة واتّجاهها في (ج) عن طريق العلامة اللغوية "عرض" من حيث موقع الطريق وهندسته، التّواجد في نفس المكان، والتّواجد بشكل عموديّ مع الطّريق.

ويتحدّد مسار الدّرّاجة في (د) عن طريق العلامة اللغوية "على طول" من حيث موقع الرّصيف وهندسته.

بيّنت هذه الأمثلة أنّه لا يمكن تحديد موقع شيء مّا إلاّ من خلال شيء آخر، وتمّ هذه التّحديد بتوظيف عدد من العلامات اللّغويّة. ويلاحظ أنّ هذين الشّيئين ليس لهما الخاصّيّات نفسها، أو هما غير متكافئين، مثلما يوضّح الجدول التّالي:

الشّيء الأوّل	الشّيء الثّاني
– غير معروف الخصائص التي تحدّد زمانه أو مكانه. – كثير الحركة. – صغير. – هندسيا بسيط في معالجته. – وجوده حديث العهد. – أكثر علاقة بالموضوع. – أقلّ جلبا للملاحظة الفوريّة – أقلّ بروزا – أكثر اعتمادا على شيء آخر	-هو شيء مرجعي يمتلك خصائص تستطيع تحديد الشيء غير المعروف. -ثابت في المكان. -كبير الحجم. - هندسيا معقّد في معالجته. - قديم العهد في المشهد والذّاكرة. - أقلّ علاقة بالموضوع. - أكثر جلبا للملاحظة الفوريّة. - أكثر بروزا - أكثر استقلالا

إنّ من خصائص "الصّورة" الحركة، فهي تصوّريا كيان قابل للحركة له موقع ومسار واتّجاه، ويتّخذ قيما متعدّدة ومتنوّعة. أمّا "المجال" فهو كيان مرجعيّ له وضعيّة ثابتة تتعلّق بالإطار المرجعيّ الذي من خلاله يتحدّد موقع ومسار واتّجاه "الصّورة".

ويلعب المتكلّم دورا أساسيّا في تحديد البعد الفضائي للأشياء في العالم الخارجيّ، فموقع المتكلّم وزاوية نظره، وقربه أو بعده، عوامل أساسية في تمثّل الموجودات، وهذا ما ينعكس في بنى اللّغة.

وفي هذا الإطار تندرج أيضا دراسة ليفنسن Stephen C. Levinson لما يسميه بالأطر المرجعيّة frames of reference، وهي بحث في علاقة اللّغة بالفضاء:

فجملة "القطّ وراء الشّاحنة" يمكن أن تؤوّل من وجهتي نظر على الأقلّ: أولاهما أنّ القطّ من الجهة الخلفيّة للشاحنة فتكون الشّاحنة هي المرجع لتحديد مكان القطّ، وثانيتهما أن يتم تحديد مكان القطّ انطلاقا من مكان المتكلّم، فالقط وراء الشّاحنة انطلاقا من الوضعيّة التي عليها المتكلّم، وهي الجهة الأخرى للشاحنة.[٦]

وقد ناقش طالمي هذه المسائل باستفاضة، وبيّن أنّ مقولات اللّغة مبنيّة على مفهومي الزّمان والفضاء. ووظّف جملة من المفاهيم التي يقوم عليها الفضاء والزّمان، وهي مفاهيم يتأسّس عليها عالمنا التّجريبي، وتشتغل في مستويي اللّغة المغلق والمفتوح. يستعمل طالمي مفهوم الكميّة (quantity) للإحالة إلى المحتوى في المجال التّصوّري (conceptual domains) ، فالكميّة الموجودة في مجال الفضاء هي المادّة (matter) وتكون على ضربين مسترسلة

ومتقطّعة، وعندما تكون مسترسلة فهي كتلة (mass)، وعندما تكون متقطّعة فهي أجسام (objects)، والكميّة الموجودة في الزّمان هي الحدث (action) ، وهي أيضا تكون مسترسلة ومتقطّعة، الأحداث المسترسلة هي النّشاط (activity) والأحداث المتقطّعة هي العمل (act).

المجال	الاسترسال	الانقطاع
الفضاء	الكتلة/ الهواء	الأجسام/ قطّ
الزّمان	النشاط/ نام	العمل/ تنفّس

إنّ الفرق بين مجال الفضاء ومجال الزّمان هو أنّ الأوّل يتعلّق بخاصيّة التّقدّم progression بينما يتعلّق الثّاني بخاصيّة الثّبات أو السّكون static . هذا البعد الفضائيّ ينطبق في نظر طالمي على اللّغة في بعديها المعجمي والنّحوي. فالفعل والجمل الفعليّة تحيل عنده إلى مجال الزّمان، بما أنها مرتبطة بالحركة، والاسم الجمل الاسميّة تحيل إلى مجال المكان بما أنّها تحيل إلى الأشياء، وإن كنّا لا نعدم أسماء تحيل على الحركة، وأفعالا تحيل على الثّبات.

٣- الفضاء والتّمثيل الاستعاري للمعجم

نقدّم في هذه الفقرة إشكاليّة بَنْينة الفضاء للمعجم، وهي إشكاليّة تبرز من زوايا مختلفة للمعجم، الصّوتي والصّرفي والدّلالي، والاسترسال بين الصّوتي والدّلاليّ والشّكل والمحتوي، وعلاقة ذلك بعالمنا التّجريبي وبوجودنا في الفضاء. لذلك سنتحدّث أوّلا عن النّسق الخطاطيّ الذي يسمه طالمي بـ "بنيّة التّشكيل" (Configuration Structure) ونبيّن من خلاله كيف يكون المعجم مُبنينا بالفضاء، وندرس ثانيا "المنظور الإدراكي" (Perspective) وحضوره في المعجم، ونتناول ثالثا قضيّة تعدّد المعنى ودور الفضاء في تنظيم هذه المعاني.

يتحدّث طالمي في نظريته عن أربعة أنساق خطاطيّة (Schematic System) ، وهذه الأنساق الخطاطيّة محكومة عنده بمقولة المجال ببعديها الفضائي والزّماني، وتتجلّى في اللّغة معجما ونحوا، وهي بنية التّشكيل والإدراك المنظوري وتوزيع الانتباه (Distribution of attention) وديناميّة القوّة (Dynamic force)، ننظر من خلال النّسقين الأوّليّن في علاقة الفضاء بالمعجم، وفي النّسقين الآخرين في علاقة الفضاء بالنّحو، وإن كانت الأنساق الأربعة عند طالمي تختصّ بالفضاء والزّمان من جهة، وبالمعجم والنّحو من جهة أخرى.

٣-١. بنية التّشكيل والمعجم

تندرج ضمن هذه البنية حالات مختلفة تعبّر عن علاقة اللّغة بالموجودات في صور مختلفة، وتعبّر جميعها عن البعدين الفضائي والزّماني في اللّغة معجما ونحوا:

- **حالة التّعدّد**[٧] Plexity

تعبّر اللّغة معجما ونحوا عن وضعيّة الكميّة الموجودة في العالم الخارجي، سواء كانت مفردة أو متعدّدة، فالعالم من حولنا قائم على هذه الثنائيّة في مستوى الفضاء والزّمان، وتعبّر اللّغة عن ذلك بالزّوائد والصّيغ اللّغويّة المخصوصة. فصيغة الجمع في الأنجليزيّة يعبّر عنها بالزّائدة s، cat/ cats، والجمع في العربية يعبّر عنه بصيغ مختلفة: من أمثلتها جمع المذكر السّالم وجمع المؤنّث السّالم وجمع التّكسير:

المفرد	جمع المذكّر السّالم	جمع المؤنّث السّالم	جمع التّكسير
مدرّس	مدرّسون/ مدرّسين	مدرّساتٌ/ مدرّسات	
رجل			رجال

فاللّغة عموما تعكس المفرد والمتعدد الموجود في عالمنا المحسوس، في مستوى المادّة وفي مستوى الحدث، بالزّوائد واللّواحق والتّراكيب اللّغويّة المخصوصة التي تُبين عن المفرد والمتعدّد.

- **حالة التّحديد** State of boudedness

إنّ وجود الكميّة في الفضاء يخضع لعاملين اثنين، إمّا أنها كميّة مضبوطة بحدود، وإمّا أنّها كميّة غير مضبوطة بحدود. فالكمّيّة تكون محدّدة أو تكون غير محدّدة. الأولى وحدة منغلقة على ذاتها محصورة ضمن حدود مضبوطة، والثّانية ممتدّة غير محصورة بحدود. والحدود تفترض وجود أبعاد وكميّة محصورة في مساحة، وكتلة تقع داخل حدود، وخط يحيط بهده المساحة، ونقطتين تربطان الخط المحيط بالمساحة، أمّا الكميّة غير المحدّدة فهي التي تقع خارج كلّ تحديد.

وإذا طبّقنا هذا على الأسماء، وهي مقولة فضائيّة أساسا في نظر طالمي، فإنّ حالة التحديد تتعلّق كثيرا بتفريق اللّسانيات التّقليديّة بين الكتلة (mass) والمعدود (count).

فنماذج معجميّة من قبيل "ماء" و"نام" تُعتبر نماذج قاعديّة للكميّة غير المحدّدة، بينما تعتبر كلمات مثل "بحر" و"لَبس" نماذج مخصوصة للأشياء التي لها حدود. هذا وقد نستعمل أدوات نحويّة بها نُحَدِّدُ أشياء هي في الأصل غير محدّدة مثل "بعض" أو "شيء من" أو "قطعة من"، وغيرها، والعكس أيضا صحيح.

- **حالة التّقسيم** State of dividedness

تُحيل مقولة "حالة التّقسيم الدّاخليّ" إلى التّقسيم الدّاخليّ للكمّيّة. فالكمّيّة تكون قابلة للتقسيم الدّاخليّ أو مقسّمة إذا صُوّرت على أساس أنّها تمتلك فواصل أو مقاطع عبر مكوّناتها. أمّا غير ذلك فتصوّر باعتبارها مسترسلة.

وتتعلّق هذه المقولة بالمقولة السّابقة وتتداخل معها. فنحن نربط في العادة بين الاسترسال وعدم القابليّة للتحديد. فلا يوجد تقسيم داخلي أو حدود داخليّة. ورغم ذلك فالمقولتان مستقلّتان.

ومثلها مثل المقولات السّابقة فهذه المقولة تعكسها اللّغة معجما ونحوا. ولكنّ الأمر لا يقتصر على وجود عناصر معجميّة ونحويّة تحدّد قابليّة التّقسيم والاسترسال، بل إنّنا نستعمل بعض العناصر النّحويّة لتحويل عناصر معجميّة هي في الأصل مسترسلة أو قابلة للتقسيم. والعكس أيضا صحيح فنحن نستعمل عناصر نحويّة لتحويل أشياء قابلة للتقسيم إلى مسترسلة. ومثال ذلك فالاسم "ماء" الذي يحيل إلى عنصر مسترسل داخليّا يمكن أن يضحي قابلا للتقسيم باستعمال التّركيب "قطرات من..." في جملة من قبيل، "قطرات من الماء تتقاطر من الغسيل".

وفي المقابل فنحن نستعمل أشكالا نحويّة تَجْعل القابل للتقسيم مسترسلا، مثل: "كميّة من الأوراق".

وتتداخل هذه لمقولات فيما بينها. وتداخلها هذا ينعكس في قسمي اللّغة المغلق والمفتوح.[٨] ويجسّده طالمي في النّموذج التّالي:[٩]

التّعدّد multiplex	التقسيم	الاسترسال	
	'أ	'ب	غير محدّد
	– أ	– ب	– محدّد
الواحديّةuniplex	ء		محدّد

فالتّقاطع بين المقولات الفضائيّة السّابقة يمكن أن نلمسه في المعجم كما تبيّن الأمثلة التّالية:[١٠]

- 'أ: خشبة/ أثاث - 'ب : الماء
  تنفّس نام
- أ: بستان/ عائلة - ب : بحر
- ء: شجرة/ طير
  تأوّه

وتستعمل أدوات نحويّة لتحويل المقسّم إلى مسترسل أو العكس، والمحدود إلى غير محدود أو العكس، ومن أمثلة ذلك:

- 'أ ـ أ: منضدة من/ بعض الخشب
  تنفّس مدّة قصيرة/ بعض الوقت
- 'ب ـ ب: جسم من الماء/ بعض الماء
  نام مدّة قصيرة/ بعض الوقت
- 'أ ـ ء: قطعة من الأثاث
  خذ نفسا/ تنفّس
- 'أ ـ 'ب: كتلة من الأوراق
- 'ب ـ أ : جزيئات من الماء
- أ ـ ء : فرد من العائلة
- ء ـ 'أ: شجر
  بقي يتأوّه
- ء ـ أ: مقطع من الأشجار

- **درجة التّوسّع** Degree of extension

هي مقولة أخرى غير مفصولة عن المقولات السّابقة وتبيّن البعد الفضائي للمعجم والنّحو، وتقوم على ثلاثة مفاهيم أساسيّة كما يظهر في الرّسم التّالي الذي يوضّح هذه المفاهيم وتجلّياتها المعجميّة:

- نقطة توسّع محدود توسّع غير محدود
- . - .....
- تكلّم سُلَّمٌ نهر

فالمعجم يمتلك خاصّيّات تحدّد درجة الاستغراق في الفضاء والزّمان.

- **نموذج التّوزيع** Pattern of distribution

وتتعلّق هذه المقولة بتوزيع المادّة عبر الفضاء من جهة، وبتوزيع الحدث عبر الزّمان من جهة أخرى. وتتجلّى هذه المقولة في جانبي اللّغة المعجميّ والنّحويّ.

فهناك اختلاف، كما يبيّن طالمي، بين الحدث وقع "مرّة واحدة غير قابلة للإعادة" والحدث وقع "مرّة واحدة قابلة للإعادة". فنحن نستطيع أن نقول "سقط ثلاث مرّات"، ولكنّنا لا نستطيع أن نقول "مات ثلاث مرّات". وتختلف كذلك "مرّة واحدة قابلة للإعادة" عن "الدّورة الكاملة". فنحن نستطيع قبول جمل في الثّانية من قبيل "سقط ثمّ قام واقفا"، ولكنّنا نحترز من جملة من قبيل "ومضت المنارة ثمّ اختفت".

- **المحوريّة** Axiality

إنّ المحوريّة مقولة تعكسها اللّغة وتتجلّى في تراكيبنا النّحويّة ومعجمنا في ألفاظ مثل تقريبا وشيئا فشيئا. وهي تحدّد درجة الحدث في الزّمان وتوزيع المادّة في الفضاء. بمعنى أنّها هي أيضا محكومة بثنائيتيْ الفضاء والزّمان.

- **المشهد المجزّأ** Scene Partitioning

إنّ نسق بنية التّشكيل لا يضمّ خطاطات تتعلّق فقط بالكمّيّة المفردة مثل الشّيء والمشهد المجزّأ المخصوص حيث ينقسم المشهد المرجعيّ إلى أجزاء وينعكس هذا في اللّغة معجما ونحوا. فعبارة مثل "وليمة" تضمّ أربعة أجزاء رئيسيّة على الأقلّ، الحدث ومادة الحدث والمُضيف والضَّيف. وكذلك الأمر في أفعال مثل استضاف وتعارك وتمازح واستدعى، فجميعها تعبّر عن طبيعة مشهديّة للحدث لأنّها تحتوي على أكثر من جزء.

لقد كشفت بنية التّشكيل عند طالمي دور الفضاء في بناء المعجم، فنحن نمتلك نظام تفكير مؤسّس على الفضاء، على عالمنا التّجريبي المجسّد، ونقوم بإسقاطه استعاريا على بنى اللّغة معجما ونحوا.

٣-٢. المنظور الإدراكي والمعجم

يتعلّق هذا النّسق بوجهة النّظر، أي من أيّ موقع تدرك الذّات المدركة الموجودات من حولها، وهي عند طالمي تتكوّن من أربع مقولات خطاطيّة، الموقع location، والمسافة distance، و الهيئة mode، والاتّجاه direction .[١١]

إنّ الموقع الذي ندرك انطلاقا منه الموجودات من حولنا يجعل إدراكنا نسبيّا، ومن خلال وجهة نظر لا غير، فالأشياء يقع تمثّلها انطلاقا من موقع المتكلّم. ويظهر هذا في تعابير لغويّة مثل وراء أمام بجانب فوق وغيرها.

كما تعبّر اللّغات في جانبيها المعجمي و النّحويّ عن المسافة التي تفصل الذّات المدركة عن موضوع الإدراك، من قبيل قريب أو بعيد أو متوسّط. وهذا الأمر يختلف من لغة إلى أخرى، فأسماء الإشارة والضّمائر وغيرها من الأدوات اللغوية تختلف من لغة إلى أخرى في تحديد موقع المتكلّم والمكان الذي يفصله عن المدركات، فلغة الهاوسة غرب إفريقيا مثلا تستعمل في أسماء الإشارة والضّمائر والظّروف أربع صيغ مختلفة لبيان درجة بعد المتكلّم عن المدركات، وهو الأمر الذي نجده بنسبة أقلّ في اللّغة العربيّة والأنجليزيّة. وقد نستعمل في العاميّة التونسيّة أسماء الإشارة مع نبرة الصّوت وإطالة حركة الحرف للتعبير عن درجة البعد.

ولهيئة المدرك دور أساسيّ في تمثّله للأشياء في حالة حركة أو سكون، وبصورة إجماليّة أو بصورة متسلسلة.

كما يحدّد الاتّجاه الذي نتمثّل من خلاله المدركات، طريقة تمثّلنا لها.

فلو أخذنا الفعل "رأى" ومرادفاته، لرأينا أنّ كلّ فعل يتعلّق بوضعيّة الجسد في المكان وهيئته واتّجاهه والمسافة التي تفصله عن الشيء المدرك.

فالفعل "رنا" مثلا فيه خاصّيات النّظر، واستدامة النّظر في الزّمان، وحركة العين السّكون: "في سكون طرف"[١٢]. والفعل "شاف: يحمل خاصيّة النّظر، والمكان الذي ينظر منه إلى الشّيء المدرَك، وسمته الارتفاع "صعد إلى مكان عال".[١٣] والفعل تطلّع (إلى..) يحدّد الاتّجاه، نظر إلى طلعته،[١٤] .... ولمح نظر خفيف، وليست وضعيّة العين نفسها في

"خزر": "خيّط جفنيه حتّى كأنّهما خيطتا ليحدّد النّظر"[١٥]، ولاحظ "نظره بمؤخّر عينه من أيّ جانبيه كان يمينا أو شمالا".[١٦]

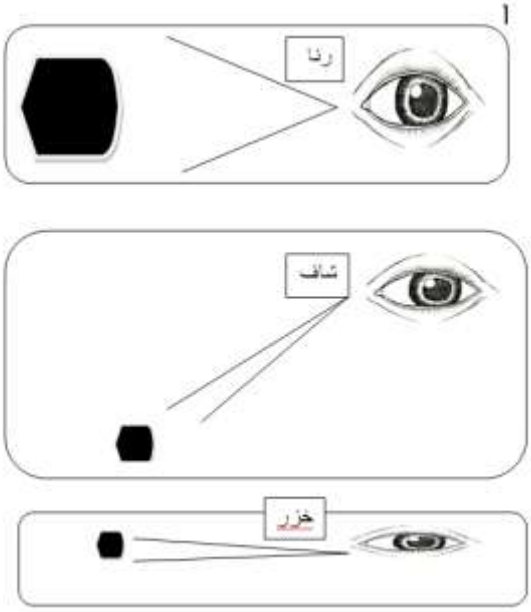

أَبْصَرَ	نظر بعينه فرأى، أدرك بحاسّة البصر.
تَأَمَّلَ	تَأَمَّلَ الشيءَ، وفيه: تدبره وأعاد النظر فيه مرة بعد أخرى لِيَسْتَيْقِنَه.
تَرَوَّى	تَرَوَّى في الأمر: نظر فيه وتفكَّر.
تَطَلَّعَ	تَطَلَّعَ إِلَى الْمُعَلِّمِ أَثْنَاءَ حَدِيثِهِ : نَظَرَ إِلَى طَلْعَتِهِ ، اِتَّجَهَ بِنَظَرِهِ إِلَيْهِ
تَوَسَّمَ	تَوَسَّمَ البَيْتَ: تَعَرَّفَهُ ، أو ثَبَّتَ نَظَرَهُ فِيهِ
حَدَّقَ	حَدَّق إليه: شدَّد النَّظر.
رَعَى	يَرْعَى النُّجومَ في لَيالِي الصَّيْفِ: يُراقِبُها ، تُقالُ لِمَنْ أَصابَهُ الأَرَقُ.
رَمَقَ	رمَق الشَّيءَ : نَظر إليه وأتبعه بصره يرقبُه ويتعهَّدُه.
رَنَا	رنا إلى الشَّيء / رنا للشَّيء: أدام النَّظر إليه في سكون طَرْفٍ.
شافَ	شاف الرّجل : صعد مكانًا عاليًا ونظر.
شاهَدَ	شاهدَ الشَّيءَ : رآه وعايَنه.
عَايَنَ	عايَن الموقِعَ : رآه أو شاهده بعينه ، تحقَّق منه بنفسه بنظرة عامَّة أو شاملة عليه.
لاحَظَ	لحَظ إلى فلان : نظر إليه بمؤخر العين عن يمين ويسار.
لَمَح	لَمَح الشّخصَ / لَمَح إلى الشّخصِ : أبصره بنظرٍ خفيفٍ أو اختلس النَّظرَ إليه.
نَظَر	نظَر: بصَر، رؤية.
خَزَرَ	خَزَّر الشيخُ عينيه: ضيَّقَ جفنيهما حتَّى كأَنهما خِيطَتا ، ليحدَّد النْظر.
حملق	فتح عينيه، نظر نظرًا شديدًا، دقّق في الشّيء.

إنّ هذه البنى الخطاطيّة التي تحكم كلّ فعل، هي التي تنظّم توسّعات الفعل الاستعاريّة، وتنضّد معانيه المختلفة الحسيّة والمجرّدة. مثلما ستبيّن الفقرة الخاصّة بالخطاطة وتعدّد المعنى.

٣-٣. الخطاطة و تعدّد المعنى

تلعب الخطاطة دورا أساسيا في تنظيم المعاني المختلفة للوحدة المعجميّة، فتعدّد المعنى ليس أمرا اعتباطيا، وتحوّلات معنى الوحدة المعجميّة على ما بينها من اختلاف تخضع لانتظام مخصوص، ولعلّ من بين مظاهر هذا الانتظام خضوع المعاني المختلفة لبنية خطاطيّة مشتركة، أو لأكثر من بنية خطاطيّة، وهذا وجه آخر من وجوه تنظيم الفضاء للغة وللمعنى، وقد سبق في غير هذا المقام أن بيّنا وجها وجوه هذا الانتظام،[١٧] وننظر الآن في الفعل "وطئ"،[١٨] نموذجا نوضّح من خلاله هذه المسألة، وهو فعل إذا نظرنا إلى مدخله في لسان العرب وجدناه دالا على معان مختلفة، لكنّ هذه المعاني المختلفة، مثلما سنرى، محكومة بخطاطتيْن أساسيتيْن هما خطاطة القوّة وخطاطة العموديّة، وما بين القوّة والعموديّة علائق أهمّها أن الأقوى في المتصوّر العام المنطلق من واقعنا التّجريبيّ يكون فوق والأقلّ قوّة يكون تحت، فخطاطة العموديّة أيضا محكومة بخطاطة القوّة. والمعاني في هذا المدخل المعجميّ تتعالق وفق هاتيْن الخطاطتيْن، مثلما يوضّحه الجدول التّالي:

المعنى	الخطاطة
وطئ الشّيء داسه	العموديّة: من فوق إلى تحت. القوّة: دائس ومدوس.
أوطأه فرسه، حمله عليه حتى وطئه	العموديّة الرّاكب والمركوب. القوّة الرّاكب والمركوب
وطئته غلبته	العموديّة: فوق/ تحت. القوّة غالب ومغلوب
وطء الطّريق	العموديّة
الواطئة السّابلة، سموا بذلك لوطئهم الطّريق	العموديّة: الواطئ والموطوء الطّريق
الواطئة سقاطة التّمر تقع فتوطأ بالأقدام	العموديّة والقوّة
وطئنا العدوّ بالخير دسناهم	العموديّة والقوّة
الوطأة الأخذة الشّديدة	القوّة
الوطء في الأصل الدّوس بالقدم فسمي به الغزو والقتل لأنّ من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وإهانته.	القوّة والعموديّة
وطئ المرأة نكحها	العموديّة والقوّة
وطأ الشّيء سهّله/ التمهيد والتّدليل	القوّة والعموديّة
الوطاء ما انخفض من الأرض	العموديّة
الوطاء خلاف الغطاء	العموديّة
وطيء الخلق سهلا دمثا كريما	القوّة والعموديّة

وطأ خبره غطّاه/ الاخفاء والسّتر	العموديّة الغطاء والمغطّى،
الإيطاء في الشعر ردّ كلمة قد قيفت بها مرة نحو قافية على رجل وأخرى عى رجل في قصيدة... وأصله أن يطأ الإنسان في طريقه على أثر وطء قبله فيعيد الوطء على ذلك الموضع.	العموديّة

إذا نظّمنا هذه المعاني وفق أطر وجدنا منها ما يتعلّق بالإنسان (وطئ الشّيء، وطئ الطّريق، النّكاح، الغزو، القتل...) ومنها ما يتعلّق بالموجودات (الغطاء، السّقط،...)، ومنها ما يتعلّق بالمجرّدات (الإيطاء في الشّعر، السّتر والإخفاء، الخلق الكريم...)، وهي في أغلبها محكومة بخطاطتيْ القوّة والعموديّة.

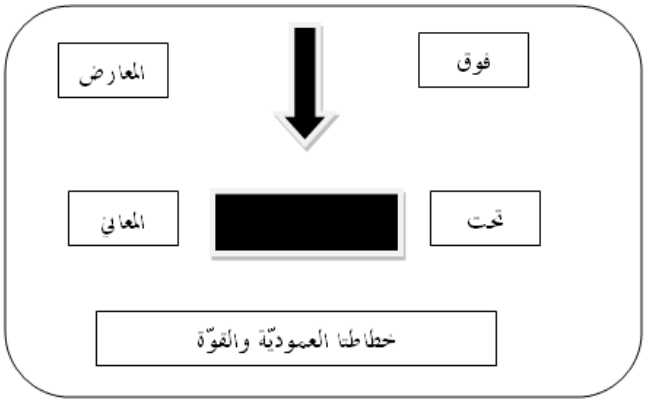

٤- الفضاء والتّمثيل الاستعاري للنحو

٤-١. توزيع الانتباه[١٩]: الفضاء والبنى النّحويّة

يتعلّق هذا النّسق الهندسي بالكيفيّة التي يدرك من خلالها الإنسان الموجودات من حوله، ودرجة الاهتمام التي يوليها للشيء المدرك في علاقته بالموجودات الأخرى، من حيث درجات هذا الاهتمام ومستوياته وبروز موجودات على أخرى في دائرة إدراكه، وكيف ينعكس هذا النّسق الهندسيّ الكامن في العرفان انطلاقا من عالمنا التّجريبي وإدراكنا الحسّي للموجودات على بنى اللّغة وقسمها المغلق خاصّة.

يتحدّث طالمي عن ثلاثة عوامل في هذا النّسق:

- **قوّة الانتباه**: وتتعلّق بدرجة البروز في الصّورة أو المشهد، ما هو بارز منها وما يمثّل خلفيتها، المتقدّم والكامن في الخلف. فالأكيد أن المتقدّم أشدّ بروزا من المتأخّر. فلاشكّ أنّ العُمد في الجملة، مثلا، أهمّ من الفضلات، وأكثر بروزا وجلبا للاهتمام.
- **نماذج الانتباه**: فيه يبحث في الكيفيّة التي تتعالق فيها القوى المختلفة لتكوّن نماذج مخصوصة، ومن أمثلة النّماذج التي يحلّلها طالمي:

– نموذج تبئير الانتباه Focus of attention pattern: وتتعلّق بثنائيّة المركز والهامش، فالانتباه الأكبر يتمحور حول المركز ويقلّ هذا التّركيز على الهامش:

أ – عامل المتجر باع الشّمبانيا إلى جورج

ب- جورج ابتاع الشمبانيا من عامل المتجر

فعامل المتجر في الجملة "أ" الذي يلعب دور البائع هو في مركز الاهتمام foregrounded، بينما جورج الذي يلعب دور المشتري يقبع في الخلفيّة backgrounded، بمعنى آخر الأوّل يمثّل الصّورة والثّاني المجال. والعكس يحصل في الجملة "ب" فجورج هو الصّورة والبائع هو الخلفيّة.

ونلاحظ أنّ النّظام النّحوي استعمل طريقتين لبيان هذا التّركيز على جانب أكثر من الآخر باختيار الفعل باع وابتاع، وبالتّقديم والتّأخير، أي بترتيب الكلم في الجملة.

إنّ هذا البروز لموقع مّا يطلق عليه اسم الأيقونيّة النّحويّة grammatical iconicity ، حيث تنعكس بعض مظاهر التّمثيلات التصوّريّة في البنى النّحويّة. لذلك فالبروز التّصوّري يمكن أن يتجلّى من خلال البروز النّحوي. وهو ما يعني أنّ اختيار الأفعال والأدوار ومواقعها في الجملة ليس أمرا اعتباطيا.

– نموذج نافذة الاهتمام Windowing pattern: هناك جوانب من الشّيء المدرك أو من الحدث تكون أكثر جلبا للانتباه من جوانب أخرى.

أ. نقد جورج مائة فرنك.

ب. نقد جورج مائة فرنك ثمن المشروبات.

ت. نقد جورج مائة فرنك ثمن المشروبات للبائع.

في الجملة "أ" اختيار الفعل "نَقَدَ" يؤدّى إلى تركيز الاهتمام على الثّمن. ولا يحتاج إلى متمم. وفي الجملة "ب" يمثّل المتمم "ثمن المشروبات" في درجة ثانية بعد الثّمن لأن الاهتمام في اختيار فعل نقد للثمن، وفي الجملة الثالثة يمثل المتمّم للبائع متمما أقل أهميّة من بقيّة العناصر الأخرى.

– نموذج مستوى الانتباه Level of attention pattern: هذا النّموذج يتعلّق بالجانب الذي يتمّ التّركيز عليه، على المجموع أو العناصر، على الكلّي أو الجزئيّ، و غيرها. ففي الجمل التّالية مثلا:

أ. هذا فريق من الأصدقاء.

ب. هذا الصديق ضمن فريقه.

ففي الجملة "أ" يقع الاهتمام بالمستوى الكلّى أو الجشطلتي، ولا يقع الاهتمام بالعناصر، بينما في الجملة "ب" يتمركز الاهتمام على العنصر لا على الكلّ. لذلك يسمي طالمي المستوى الأوّل بالمستوى التأليفي level synthesis والمستوى الثّاني بالمستوى التّمثيلي level exemplarity.

و المستوى القاعدي في النّظام التّدرّجي، يقع التّركيز على المستوى القاعدي لا المستوى الأعلى أو الأدنى مثل:

أ. النّمش في وجه الصّبيّ.

ب. وجه الصّبي يحتوى على النّمش.

ت. الصّبيّ يوجد على وجهه النّمش.

والمستوى الجزئي، وفيه يركز على الجزء لا على الكلّ

– حلّل أساليب النّصّ.

– حلّل النّصّ.

- **ترسيمة الانتباه** mapping of attention

والواقع أن بلاغيّينا ونحاتنا قد أفاضوا في ما له صلة بهذا الباب، ومنه بيان وجوه الاختلاف في التّقديم والتّأخير وتغيير مواضع الكلم، والحذف وغيرها وفائدة ذلك، وإن جعلوا ذلك في اللّغة وربطوه بالمعنى الذي في نيّة المتكلّم، فهو كذلك انطلاقا ممّا هو موجود في الفضاء الماديّ المتجسّد، وتفاعل الذّوات العارفة معه.

٤-٢. ديناميّة القوّة[٢٠]: الفضاء والبنى النّحويّة

يتأسّس وجودنا على القوّة وعلى الصّراع. والقوّة تقتضي، في صورتها الطّرازيّة، وجود كيانين على الأقل كيان يمارس القوّة وكيان تقع عليها هذه القوّة، لذلك يرى طالمي أن من الأوائل التّصوّريّة لديناميّة القوّة وجود كيانين أحدهما يمارس القوّة على الآخر، هما المعارض Antagonist والمعاني Agonist . وتعتبر الموجودات الماديّة الصّورة الطرازية لحضور ديناميّة القوّة، فالموجودات تمارس ضربا من القوّة في الوجود، وهذه القوّة مختلفة الدّرجات، وهي تميل ضرورة إلى اتّجاه معيّن، نحو الحركة أو نحو السّكون، وتنتهي إلى، وتنتهي إلى وضعيّة معيّنة، الحركة أو السّكون. و مثلما تنطبق هذه البنية على عالمنا المادي فإنّها تنطبق كذلك على المجالين الاجتماعي والنّفسي، وغيرهما. واللّغة بجانبيها المعجمي والتّركيبي تعكس صراع القوى، وهذا ما حاول طالمي إثباته. من خلال اشتغاله على الجعليّة والجهات والحجاج.

فجملة:

- بقيت الكرة تدور بسبب الرّيح.

تقوم على استعارة خطاطة القوّة، بما أنّها قائمة على الصّراع بين معارض يمثّله الرّيح في هذه الجملة، ومعاني هو الكرة، فقد مارس المعارض "الرّيح" قوّة على المعاني "الكرة"، وحوّل وضعها من حال السّكون وهو ميلها الطّبيعيّ إلى حال الحركة، وهذا نموذج نحوي عن الجعليّة، ويمثّل طالمي على ذلك بالرّسم البياني التّالي:

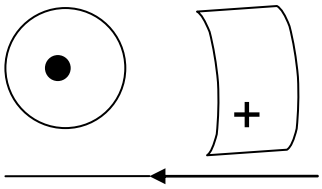

فالشّكل على اليمين يمثّل المعارض وهو في وضع حركة مثلما تبيّن العلامة (+)، يمارس قوّة على المعاني وتمثّله الدّائرة وحوّل وضعها من حالة السّكون إلى حالة الحركة مثلما يبيّن السّهم أسفله.

كما يمكن للجعليّة أن تعكس بنية خطاطة القوّة من خلال جملة:

- جعل رمي الكرة المصباح يسقط

فالمعاني (المصباح) في هذا المثال له ميل طبيعي نحو السّكون، لكنّ المعارض (رمي الكرة) كان أشدّ قوّة ومكّن من تحويل وضع المعاني من حالة أولى هي السّكون إلى حالة ثانية هي الحركة.[٢١]

وإذا نظرنا مثلا في مفهوم العمل في النّظريّة النّحويّة العربيّة، وهو مفهوم مركزي تقوم عليه هذه النّظريّة لوجدنا أنّه يقوم على بنيه هندسيّة هي بنية خطاطة القوّة:

فالعامل في تعريف النّحاة: "ما أوجب كون آخر الكلمة مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا أو ساكنا"[٢٢] "وهي فكرة تقوم على ثنائيّة العامل والمعمول، فقد اصطلح النّحاة على أنّ الكلمة إذا كانت طالبة لغيرها كانت عاملة فيها، وإذا كانت مطلوبة من غيرها كانت معمولة له".[٢٣]

وهو عند ابن الحاجب "ما يتقوّم المعنى المقتضي (للإعراب)". ويعني التّقوّم عند الاستراباذي: "نحوا من قيام العرض بالجوهر. فإنّ معنى الفاعليّة (والمفعوليّة والإضافة) كون الكلمة عمدة أو فضلة أو مضافا إليه، (وهي) كالأعراض القائمة بالعمدة والفضلة والمضاف إليه بسبب توسّط العامل".[٢٤]

فالعمل والعامل والمعمول، يمكن ترجمتها إلى القوّة والمعارض والمعاني.

فجملة من قبيل: ضرب زيد عمروا

فضرب هو العامل: عامل الرّفع والنّصب

زيد معمول العامل: هو الذي وقع عليه عمل العامل

عمرو معمول العامل: هو الذي وقع عليه عمل العامل.

وجميع بُنى العربية قائمة على العامل والمعمول، مهما اختلفت وجوه حضور هذا العامل في اللّفظ أو المعنى أو المتكلّم[٢٥]، والعلاقة بينهما قائمة على التأثير والتّأثّر، وهما بلغة طالمي المعارض والمعاني.

وللعمل درجات في القوّة باصطلاحيّة النّحاة العرب القدامى، فهي لفظيّة ومعنويّة، والأولى أقوى عملا من الثّانية، واللّفظيّة الفعل فيها أقوى العوامل تليه الأسماء المحمولة على الفعل في عملها وهي على درجات في قوّة العمل، فاسم الفاعل مقدّم على اسم المفعول وهما مقدّمان على المصادر و الصّفات وغيرها، تلي ذلك الحروف.

٥- الفضاء والتّمثيل الاستعاري للخطاب

تحكم الخطاطة خطاباتنا المختلفة لغويّة وغير لغويّة، وتحقّق انسجامها وتماسكها الدّلالي، فبعد قراءتنا لأيّ خطاب تحتفظ ذاكرتنا بخارطة لهذا الخطاب تحدّد أهم محطّاته الكبرى، مهما كان اتّساع هذا الخطاب. ونقرأ هذا الخطاب في ضوء بُنى مجرّدة تحتفظ بها الذّاكرة لأمثال هذا الخطاب. وقد سبق لنا في غير هذا المقام الاشتغال على خطابات مختلفة لغويّة وغير لغويّة شعريّة ونثريّة، وأدبيّة وغير أدبيّة[٢٦]، وبيّنا دور الخطاطة في بناء انسجامها، مثل خطاطة الدّائرة خطاطة العموديّة خطاطة القوّة خطاطة الوعاء خطاطة المركز الهامش وغيرها، وانطلاقا من ذلك كشفنا عن دور الفضاء في تمثيل بنى الخطاب المختلفة.

سنشتغل في هذه الفقرة على الخطاب الحجاجي، ونحاول بيان الخطاطة أو الخطاطات التي تحكم بناءه. فقد أثبت طالمي[٢٧] أنّ الحجاج قائم على الصّراع، لكنّه صراع تحمله اللّغة في بُنَاها لا صراع يعتمد القوّة الفيزيائيّة. فإذا كان الصّراع الفيزيائيّ يقوم على قوّتيْن، المعارض والمعاني، فإنّ الصّراع الحجاجيّ هو توسيع استعاريّ لهذا الصّراع الطّرازيّ. ومن العنف إلى الحجاج هناك تحوّل من ممارسة القوّة الجسديّة إلى ممارسة القوّة الفكريّة عبر اللّغة بمستوياتها المختلفة. لقد اعتبر العرفانيّون الحجاج بنية تصوّريّة ذهنيّة تعكسها اللّغة في بُنَى مختلفة، وقد قصر طالمي التّجلّيات اللّغويّة للحجاج في قوالب ديناميّة القوّة المتحوّلة،[٢٨] ودرسها في هذا الإطار.

يتأسّس الخطاب الحجاجيّ على استعارة خطاطة القوّة، فالصّراع قائم في الخطاب الحجاجيّ بين محاجّ ومحجوج، بين حجّة وحجّة مضادة، صورتها الأوّليّة، أو صورتها المجرّدة الفقيرة، معارض ومعان، فما من خطاب حجاجيّ، إلا وهو مؤسّس على هذه البنية، ووضعيّة أوّليّة عليها المعارض والمعاني، وتحوّل في هذه الوضعيّة، وقوّة تُمارس على درجات.

نتناول نموذجا نبيّن من خلاله اشتغال الخطاطة في الخطاب،وهو مناظرة بين عليّ بن أبي طالب ويهوديّ:[٢٩ ٣٠]

المناظرة التّاسعة والأربعون

قال يهوديّ لمولانا عليّ كرّم اللّه وجهه: ما نفضتم أيديكم من تراب دفن نبيّكم حتّ قلتم: "منّا أمير ومنكم أمير". فقال له: ما جفّت أقدامكم من (فلق) البحر حتّى قلتم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. فانقطع اليهوديّ [و لم] يجد جوابا لأنّ "منّا أمير ومنكم أمير" ليس فيها ما يهدم الدّين وإنّما الطّامة العظمى ما أتى به اليهود من الكفر [ثمّ] عبدوا العجل بإثر ذلك.

قام هذا الخطاب على صراع قوّتيْن، قوّة وقوّة مضادّة، كلّ منهما تسعى إلى تغيير اتّجاه القوّة الأخرى. تظهر هاتان القّوتان أولا في صورتيْن رمزيتيْن تحملان أبعادا ثقافيّة يختزنها الضّمير الجمعي، فالصّراع بين "يهوديّ" وما تحمله صورة اليهودي في النّظام التّصوري العربي الإسلامي من دونيّة وكره للإسلام والمسلمين، و"عليّ بن أبي طالب"، والرّاوي يقول عنه: "مولانا عليّ كرّم الله وجهه"، وما يحمله كذلك من صورة رمزيّة في الثّقافة العربيّة الإسلامية بسنّتها وشيعتها. هذا الخطاب يتأسّس إذن على خلفيّة ثقافيّة تحدّد اتّجاهه منذ البداية، بل لعلّ الخطاب قد وضع ليؤكّد هذه الخلفيّة التّصوّريّة: مسلم/ كافر، قريب من الله/ محارب لله ورسوله، مؤمن/ محتال، بليغ/ ضعيف الحجّة، خليفة المسلمين/ عدوّ، علاقتهما محكومة بالعداء، وبالرّغبة في السّيطرة والهيمنة. ولكنّ الصّراع بينهما ليس صراعا جسديا بل صراع أفكار وحجج.

إنّ فهم المناظرة يعتمد على خطاطة أساسيّة تقوم على صراع القوى، ونتيجة سيؤول إليها هذا الصّراع، وهي بمثابة المنوال الثّقافي الذي يحكم إنتاج المناظرة وفهمها.

خطاطة القوّة في هذه المناظرة تظهر في وجوه مختلفة:

حجّة اليهوديّ: "ما نفضتم أيديكم من تراب دفن نبيّكم حتّى قلتم: "منّا أمير ومنكم أمير"".

حجّة عليّ (حجّة مضادّة): "ما جفّت أقدامكم من (فلق) البحر حتّى قلتم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة".

النّتيجة : "فانقطع اليهوديّ ولم يجد جوابا".

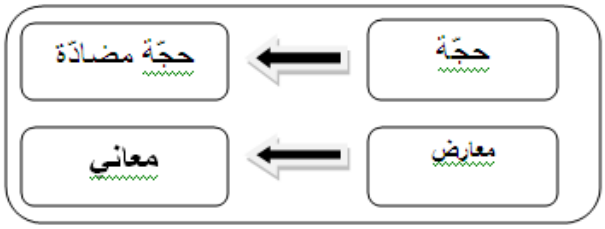

كما تظهر استعارة خطاطة القوّة في صور أخري: فكلام اليهوديّ هو حجّة تؤدّي إلى نتيجة ضمنيّة تأويلها "شغفكم بالدّنيا لا بالآخرة". تحمل هذه البنية ثنائيّة المعارض والمعاني، فالمعارض هو الحجّة والمعاني هو النّتيجة:

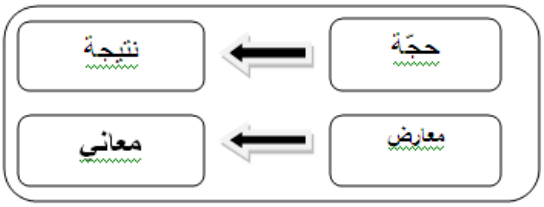

كما يقوم أيضا تعليق الرّاوي الذي حدّد نتيجة المناظرة الحجاجيّة، على بنية خطاطة القوّة، فقوله: "فانقطع اليهوديّ ولم يجد جوابا لأنّ "منّا أمير/ ومنكم أمير" ليس فيه ما يهدم الدّين وإنّما الطّامّة العظمى ما أتى به اليهود من الكفر ثمّ عبدوا العجل بإثر ذلك".

هذا المثال قائم على البنية الحجاجيّة حجّة/ نتيجة. وتمثّل الحجّة الجملة الواقعة بعد الرّابط الحجاجيّ "لأنّ" وهي تمثّل السّبب الذي أوصلنا إلى النّتيجة، وتمثّلها الجملة السّابقة للرابط الحجاجيّ التّعليليّ. وتنطبق على هذه البنية خطاطة القوّة، فالحجّة، ""منّا أمير/ ومنكم أمير" ليس فيه ما يهدم الدّين وإنّما الطّامّة العظمى ما أتى به اليهود من الكفر ثمّ عبدوا العجل بإثر ذلك""، تمثّل المعارض، والنّتيجة، "فانقطع اليهوديّ ولم يجد جوابا"، تُمثّل المعاني.

الخاتمة

كان مدار هذا المقال البحث في الهندسة الفضائيّة للغة والخطاب. وكيف أنّ هذه الأسس الفضائيّة هي التي تجعلنا قادرين على إنتاج الخطابات وفهمها، وتساهم في تحقيق التّواصل بيننا، وتمنح وجودنا ولغتنا وخطاباتنا معنى. وهذا الأمر اقتضى البحث في العلائق الممكنة بين الفضاء والجسد والعرفان واللّغة، وهي علائق تحدّد ما به نفكّر أوّلا وما به نتكلّم وننظّم خطاباتنا ثانيا. وقد اتّضح لنا أنّ العلاقة بين اللّغة والفضاء تمرّ عبر الذّات العارفة (Cognizer)، هذه الذّات المتجسّدة الحالة في الزّمان والمكان والمتفاعلة معهما. فالإنسان يجرّد من مدركاته لحركة الموجودات في العالم التّجريبي بُنى ذهنيّة عالية التّجريد، يعيد إسقاطها على ما لا حصر له من النّماذج المحسوسة والمجرّدة وعلى اللّغة في قسميها المغلق والمفتوح، وعلى خطاباتنا مهما اختلفت أنظمتها السّيميائيّة. إنّ اللّغة، معجما ونحوا، والخطاب، لسانيا وغير لساني، مُبنينان وفق هذه الخطاطات، التي تتميّز بطابعها المجرّد وبفقر خصائصها ومرونتها.

المصادر والمراجع

- الأزهري (خالد)، شرح العوامل المائة الجرجانيّة، تحقيق البدراوي زهران، ، دار المعارف، الطّبعة الثّانية، القاهرة (دون تاريخ).
- الاستراباذي، شرح الرّضيّ لكافية ابن الحاجب، تحقيق حسبن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة (المدينة المنوّرة)، طبعة أولى ١٩٩٣،
- البوعمراني (محمّد الصّالح) ، السّيميائيّة العرفانيّة الاستعاري والثّقافي، مركز النّشر الجامعي، منّوبة تونس، الطّبعة الأولى ٢٠١٥.
- البوعمراني (محمّد الصّالح): "**المعنى الخطاطي في النّحو ديناميّة القوّة في الجعليّة أنموذجا**"، ضمن كتاب، الدّلالة النّظريات والتّطبيقات، كليّة الآداب بمنّوبة، ٢٠١٥.
- البوعمراني (محمّد الصّالح): "**المعنى الخطاطيّ في الشّعر: قراءة في نماذج من شعر نزار قبّاني**"، ضمن كتاب، قضايا المعنى في التّفكير اللّساني والفلسفي، كليّة الآداب بمنّوبة، ٢٠١٥.
- البوعمراني (محمّد الصّالح): "**من أسرار تحوّلات المعنى المعجمي مادّة (س،ر،ر) أنموذجا**"، ضمن، السّر في اللّغة والأدب والثّقافة (بحوث علميّة محكّمة)، المعهد العالي للدراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بقفصة، طبعة أولى ٢٠١٦.

- ا الزنّاد (الأزهر) ، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، دار محمّد علي الحامّي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠،
- السّكوني (أبو علي عمر)، عيون المناظرات، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التّونسيّة، ١٩٧٦،
- السّيّد (عبد الحميد): "نظريّة العامل في النّحو العربيّ دراسة وتركيب"، مجلة دمشق- المجلّد ١٨ العدد ٣+٤، ٢٠٠٢

-Evan (Vyvyan) and Green (Melanie), Cognitive Linguistics An Introduction, EDINBURGH University Press, 2006.

- Griffiths (Thomas L) , Steyvers (Mark) and Tenenbaum (Joshua B), Topics in Semantic Representation, Psychological Review Copyright 2007 by the American Psychological Association 2007, Vol. 114, No. 2.

- Johnson (M), The Body in The Mind, The Bodily Basis of Meaning, Imagination, and Reason, the University of Chicago Press, Chicago and London 1987.

- Kovecse (Z), METAPHOR, A Practical Introduction, OXFORD University Press, 2002.

-Lakoff(G) and Turner (M), More than Cool Reason, A Field Guid to poetic Metaphor, the University of Chicago Press, Chicago and London 1988

-Leonard (Talmy), Toward a Cognitive Semantics, Vol 1, The MIT Press 2000.

- Levinson (Stephen. C), Space in Language and Cognition, Cambridge University Press, 2004.

الهوامش:

[1] - L.Talmy, Toward a Cognitive Semantics, Vol 1, The MIT Press 2000, p ١٧٩.

[2] - Thomas L. Griffiths , Mark Steyvers and Joshua B. Tenenbaum, Topics in Semantic Representation, Psychological Review Copyright 2007 by the American Psychological Association 2007, Vol. 114, No. 2, 211–244, p 213.

[٣] - الأزهر الزنّاد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، دار محمّد علي الحامّي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ١٨٤.

[4] -G.Lakoff and M.Turner, More than Cool Reason, A Field Guid to poetic Metaphor, the University of Chicago Press, Chicago and London 1988, pp 6-13.

[5] -Z.Kovecse, METAPHOR, A Practical Introduction, OXFORD University Press, 2002, p 4.

[6] - STEPHEN C. LEVINSON, Space in Language and Cognition, Cambridge University Press, 2004 , preface.

[7] - Talmy, p 47.

[8] - Talmy, op. cit, p 60.

[9] - Vyvyan Evan and Melanie Green, Cognitive Linguistics An Introduction, EDINBURGH University Press, 2006, p 522.

[10] - Leonard Talmy, op. cit, p 60.

[11] - Vyvyan Evan and Melanie Green, Cognitive Linguistics An Introduction, p528.

[١٢] - ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ر، ن، و).

[١٣] - ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ش، و، ف).

[١٤] - ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ط، ل، ع).

[١٥]- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (خ، ز، ر).

[١٦]- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ل، ح، ظ).

[١٧]- محمّد الصّالح البوعمراني، من أسرار تحوّلات المعنى المعجمي مادّة (س،ر،ر) أنموذجا، ضمن، السّر في اللّغة والأدب والثّقافة (بحوث علميّة محكّمة)، المعهد العالي للدراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بقفصة، طبعة أولى ٢٠١٦.

[١٨]- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (و، ط، ء).

[19] - Talmy, op. cit, p77.

[20] - Talmy, op. cit, p 466.

[٢١]- انظر تفصيل اشتغال ديناميّة القوّة في الجعليّة في:

محمّد الصّالح البوعمراني، السّيميائيّة العرفانيّة الاستعاري والثّقافي، مركز النّشر الجامعي، منّوبة تونس، الطّبعة الأولى ٢٠١٥.

[٢٢]- خالد الأزهري الجرجاوي، شرح العوامل المائة الجرجانيّة، تحقيق البدراوي زهران، ، دار المعارف، الطّبعة الثّانية، القاهرة، ص ٧٣.

[٢٣]- عبد الحميد السّيّد: "نظريّة العامل في النّحو العربيّ دراسة وتركيب"، مجلة دمشق- المجلّد ١٨ العدد ٣+٤، ٢٠٠٢، ص ٤٥.

[٢٤]- الاستراباذي، شرح الرّضيّ لكافية ابن الحاجب، تحقيق حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة (المدينة المنوّرة)، طبعة أولى ١٩٩٣، المجلّد الأوّل ص ٦٤.

[٢٥]- يقول الاستراباذي: "ثمّ اعلم أنّ محدث هذه (المعاني) في كلّ اسم هو المتكلّم، وكذا محدث علاماتها، لكنّه نسب إحداث هذه العلامات إلى اللّفظ الذي (بوساطته) قامت هذه المعاني بالاسم، فسمّي عاملا لكونه كالسّبب للعلامة، كما أنّه كالسّبب للمعنى المعلّم، فقيل: العامل في الفاعل هو الفعل ، لأنّه به صار أحد جزأي الكلام، وكذا العامل في كلّ واحد من المبتدأ والخبر هو الآخر على مذهب الكسائيّ والفرّاء، إذ كلّ واحد منهما صار عمدة بالآخر". مصدر سابق، ص ٥٢.

[٢٦]- انظر في هذا الإطار بحوثنا:

- المعنى الخطاطي في النّحو ديناميّة القوّة في الجعليّة أنموذجا، ضمن كتاب، الدّلالة النّظريات والتّطبيقات، كليّة الآداب بمنّوبة، ٢٠١٥.

- المعنى الخطاطيّ في الشّعر: قراءة في نماذج من شعر نزار قبّاني، ضمن كتاب، قضايا المعنى في التّفكير اللّساني والفلسفي، كليّة الآداب بمنّوبة، ٢٠١٥ .

[27]- Talmy, op. cit, p 452.

[28]- Ibid, p 453.

[٢٩]- أبو علي عمر السّكوني، عيون المناظرات، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التّونسيّة، ١٩٧٦، ص ١٦٧.